أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم ... مولى العريب فخذ بفضلك وافخر
وارجع إلى مولاك غير مدافع ... سبحان مولاك العلي الأكبر
وولدا عجمي فكان يقول أشد ما هجيت به قول الباهلي
وعبدي فقأ عينيك في الرحم ابرع ... فجئت ولم تعلم لعينيك فاقيا
وكان يشبه الأشياء بالأبعد رغم البصراء ويسأل عن ذلك فقال عدم النظر يقوي ذكاء
القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه وكان يتهم بالزندقة
وروى الجاحظ قوله
الأرض مظلمة والنار مشرقة ... والنار معبودة مذ كانت النار
وقال بهذا البيت وجدوا أهل ابن عطاء السبيل إلى تكفير بشار وخطب في خطبة التي نزع
الراء وحكى سعيد بن مسلم قال كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام عمرو بن عبيد وواصل
بن عطاء وبشار الأعمى وعبد الكريم بن أبي العوجاء وصالح بن عبد القدوس ورجل من الأزد
يعني جرير بن حازم فكانوا يجتمعون في منزل الأزدي ويختصمون عنده فأما عمرو وواصل
فصارا إلى الاعتزال وأما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة وأما الأزدي فمال إلى السمنية
وهو مذهب من مذاهب الهند وأما بشار فبقي متحيرا فقيل إنه قال بعد بمذهب التنويه وعدم
الرجوع ويمثل هذه الأمور المنسوبة إليه دبر على يعقوب وزير المهدي حتى قتل حكى ابن
نوفل قال قدم بشار من البصرة إلى بغداد وقد مدح المهدي بقصيدة زائية لم أنشدها إياها
فلم يحظ منه بشيء فقيل إنه لم يستجد شعره فقال والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش
صرفه على أحد ولكنا نكذب في القول فنكذب في الأمل ثم مدح يعقوب وزيره فلم يحفل
به ولم يعطه شيئا وأقام ينتظر جائزته برهة فمر يعقوب يوما ببشار فصاح بشار
طال الثواء على رسوم المنزل ... فقال يعقوب ... فإذا تشاء أبا معاذ فارحل

فغضب

فغضب بشار وقال يهجوه
بني أمية هبوا طال نومكم ... إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الناي والعود
ثم رحل وحضر حلقة يونس النحوي فقال هاهنا من تحتشم فقال لا فأنشد هجاء في المهدي وهجا
يعقوب فسعي به إلى يعقوب وكان المهدي قد قدم على البصرة فدخل عليه يعقوب
فقال إن بشارا زنديق وقد قال شعرا على البلية وقد هجا أمير المؤمنين فأمر ابن نهيك
وهو صاحب الشرط بإحضاره ثم أزف خروجهم فأخذه ابن نهيك معه في زورق فلما
كانوا بالبطيحة ذكره المهدي فأرسل إلى ابن نهيك يأمره بضرب بشار بالسياط ضرب
التلف ويلقيه في البطيحة فأمر به فأقيم في صدر السفينة وأمر الجلادين أن يضربوه ضربا
متلفا فجعل يقول كلما وقع عليه السوط حس وهي كلمة تقولها العرب عند الألم فقال
بعضهم انظروا إلى زندقته ما تراه يحمد الله تعالى فقال بشار ويلك أثريد هو فأحمد الله عليه
فلما بلغ سبعين سوطا أشرف على الموت فألقي في صدر السفينة فقال ليت عيني ليه
الشمقمق تراني حين يقول
إن بشار بن برد ... تيس أعمى في سفينة
ثم مات من ساعته فألقي في البطيحة فحمله الماء إلى البصرة فأخذه أهله فدفنوه وحكى
ابن خلاد قال لما ضرب بشار بعث المهدي إلى منزله من يفتش على كتب الزندقة فوجد طومارا
فيه بسم الله الرحمن الرحيم إني أردت هجاء آل سليمان بن علي فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتركتهم لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأه المهدي بكى وندم على قتله وقال لا جزى الله يعقوب خيرا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)